ماستر1 تاريخ الغرب الإسلامي،

محاضرة 8 عهد الفتنة وسقوط الدولة الأموية.

بعدما كانت دولة الإسلام في الأندلس في قمة ازدهارها السياسي والعسكري والاقتصادي والمالي ومع مطلع القرن الحادي عشر انفجرت التناقضات العنصرية والحساسيات القبلية والانقسامات السياسية والطبقية والتي طالما تأجلت أو اختفت عندما تولى حكام عظام قمة الهرم السياسي في الأندلس، ومع وصول المهدي الى الخلافة ومقتل أخر العامريين. بدأت مرحلة جديدة من الفوضى والاضطرابات، امتدت على مدى ثلاثة وعشرين سنة، عرف خلالها القرطبيون سلسة من الحروب والاضطرابات أطاحت في النهاية بالدولة الأموية في الأندلس.

هذا الصرح الذي "أقامه أمراء أقوياء والذي استمر أزيد من قرنين ونصف، انهار في وقت قصير جدا لا يتناسب مع تلك الانجازات والانتصارات العسكرية التي حققها أمراء بنو أمية.

عهد محمد بن هشام المهدي:

عندما تولى محمد بن هشام المهدي العرش سنة 399 هـ 1009 م و نهاية الاسرة العامرية انتهى عهد الثنائية في الحكم و عادت الشرعية و السلطة الموحدة، الا أن الظروف التي وقع فيها هذا التحول لم تكن مواتية لعودة الاستقرار و الهدوء خاصة و أن شخصية المهدي لم تكن قوية بالقدر الذي يسمح له بتحقيق تلك الأهداف المنشودة من هذا التحول، فتجددت عناصر الفرقة والصراع و بدأ كل حزب يريد الحصول على المزيد من الامتيازات.

وكان على رأس هذه الاحزاب القبائل العربية و منهم المروانية أو بنو أمية و الذين يرون أنهم أصحاب السلطة الشرعيين و كان سكوتهم أيام المنصور الا خوفا من بطشه ، وعندما تولى عبد الرحمن بن الحكم عاد هذا الحزب الى واجهة الأحداث محاولا التعويض عما فاته .

أما الحزب الثاني فيمثله الفتيان العامريون وأنصارهم من الجند المرتزقة والصقالبة، وقد كانوا أقوى من حيث العدد.

أما البربر الذين كانوا عماد الجيش العامري و الذين تضاعف عددهم في أيام المنصور و ابنه فانتشرت جموعهم وعائلاتهم في أحياء قرطبة، و بسقوط الأسرة العامرية أصبحوا يواجهون أعداء هذه الأسرة هذه الظروف جعلت الشعب القرطبي أو العامة يستقبلون الأمير الجديد بمظاهر السرور و الرضا ظنا منهم أنهم أفلتوا من النظام العامري المرهق ، إلا أن هذا الزعيم الجديد لم يكن في مستوى تلك التطلعات التي ينتظرها العامة فقد استهل حكمه بتعيين ابن عمه سليمان بن هشام ولي للعهد و منح الحجابة لعبد الجبار بن المغيرة و الشرطة لمحمد بن المغيرة ، و ألحق الكثير من أراذل قرطبة بالجيش و بعض المناصب العليا فاستخفوا بالعلماء و القادة و رجال الدولة و خاصة منهم البربر فلم يسلم زعيم قبيلة صنهاجة زاوي بن زيري بن مناد من هذه المعاملة السيئة مما خلق عداوة و سخط ضد هذا الحكم .

كما قام من جهة أخرى بطرد الفتيان العامريين من قرطبة الى مناطق شرق الأندلس فأقاموا لأنفسهم قواعد عامة في المنطقة سيستخدمونها عند الحاجة ، و من أعماله الغريبة أيضا هو إخفاءه للخليفة المؤيد و اعلانه للناس وفاته مستغلا وفاة أحد اليهود الذي كان يشبه هشام المؤيد و أحضر الوزراء و الفقهاء ليشهدوا على ذلك ، و حتى ولي العهد سليمان لم يسلم من بطشه فقد سجنه مع عدد من القادة ، هذا التصرف جعل والد سليمان ولي العهد هشام بن سليمان بن الناصر يسعى الى خلع المهدي ، فانضمت اليه جماعة من العبيد العامريين و طوائف من البربر و أعلن الثورة ضد المهدي

وقد انتهت هذه المواجهة بهزيمة هشام بن سليمان وقتله، وهذا ما عرض البربر الى أبشع صور التعذيب والتقتيل.

هذه المعاملة دفعت بالبربر الى التحالف مع بعض أفراد الأسرة الأموية وهو سليمان بن الحكم ابن اخ هشام بن سليمان و مع حاكم قشتالة مقابل بعض الحصون، و تمكن الثوار في البداية من السيطرة على مدينة سالم ثم حاصروا قرطبة و دارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بهزيمة جيش المهدي الذي حاول انقاذ نفسه فأظهر الخليفة الشرعي هشام المؤيد الذي كان قد زعم أنه مات إلا أن هذه الحيلة لم تنفعه و فر ليلا من قرطبة

عهد سليمان بن الحكم المستعين بالله:

كان البربر عندما أعلنوا الثورة بايعوا سليمان بن الحكم و لقبوه بالمستعين الذي دخل قصر قرطبة ستة 400 هـ و بايعوه الناس بالخلافة أما محمد المهدي فقد عمل على تجديد قوته من خلال تعاونه مع القائد واضح حاكم مدينة سالم، هذا الأخير الذي تفاوض مع النصارى و تعاون معهم على قتال البربر، ثم سار هذا التحالف الى مواجهة المستعين بقرطبة و دارت بينهما معركة شديدة انتهت بهزيمة سليمان و حلفاءه البربر.

عودة هشام المؤيد للخلافة للمرة الثانية:

بعد الانتصار الذي حققه المهدي على المستعين دخل قرطبة و أخد البيعة لنفسه ، و استمر في محاربة البربر الا أن تصرفاته جعلت الفتيان العامريون بالتعاون مع حاجبه واضح يتآمرون عليه فأخرجوا هشام المؤيد من حبسه و أجلسوه للخلافة ثم قتلوا المهدي و هكذا استرد هشام المؤيد الخلافة للمرة الثانية سنة 400 هـ / 1010 م و كان عمره هذه المرة في السابعة و الأربعين بينما تولى الخلافة للمرة الأولى و هو صبي ، وبهذا توقفت الفتنة قليلا حيث كتب الى سليمان المستعين و حلفاءه البربر يدعوهم الى طاعته ، و لكن البربر رفضوا هذا العرض و اتجهوا بقواتهم نحو قرطبة حيث عاثوا في بعض المدن تخريبا و قتلا ، و لما طال حصار قرطبة حاول هشام عقد الصلح مع البربر لكنهم رفضوا و قرروا الزحف الى قرطبة و دارت بين أهل قرطبة و البربر معركة حاسمة انتهت بهزيمة هشام المؤيد .

خلافة المستعين للمرة الثانية:

بعد هزيمة هشام المؤيد دخل سليمان المستعين قصر قرطبة للمرة الثانية و تلقب بالظافر بحول الله ونقل مقر الحكم الى الزهراء و قتل هشام المؤيد و بذلك تحكم البربر في السلطة و تولوا مناصب الحجابة و الوزارة و منحهم سليمان ولايات الجنوب و الوسط بينما ولي بني حمود الأدارسة ثغور المغرب و أخذ الفتيان العامريون الثغور الشرقية ، الجزائر الشرقية و ألميرية و مرسية و دانية .

حاول سليمان المستعين تحقيق الأمن و الاستقرار الا أن الانقسام و الاضطراب كان قد بلغ درجة لا يمكن معها تحقيق ذلك ، فقد تفككت الدولة و برزت تيارات استقلالية جديدة كان من أبرزها بني

حمود الذين منحهم سليمان المستعين ولايات سبتة و الجزيرة الخضراء و طنجة و أصيلا ، خرج علي بن حمود حاكم سبتة عن طاعة المستعين و أدعى أنه وصله كتاب من هشام المؤيد يستنجد و يعطيه ولاية عهده و أوصى له بالخلافة من بعده فانضم اليه بعض زعماء البربر و زحف على العاصمة و في سنة 407 هـ/ 1016 م دارت معركة حاسمة بالقرب من قرطبة انهزم فيها المستعين و القي القبض عليه و دخل علي بن حمود العاصمة و بويع له بالخلافة في مسجدها الجامع و تلقب بالناصر لدين الله ، ثم أمر بقتل سليمان المستعين و بذلك خرجت الخلافة رسميا من البيت الأموي و آلت الى البربر.

أما بني حمود فرغم أنهم كانوا من الأدارسة و لم يكونوا من البربر من حيث الدم و الأصل و النسب ، فإنهم كانوا منهم بالنشأة و العصبية و المسكن و العلاقات الاجتماعية و الثقافية .

تميزت الأوضاع في عهد بني حمود بالفوضى و استمرار التطاحن بين أفرادها خاصة بعد مقتل علي بن حمود و تولي الحكم أخوه القاسم.

عودة البيت الأموي الى الخلافة:

ان استمرار الاضطراب و الفوضى و غياب الأمن في عهد القاسم دفع بالقرطبيين الى العمل على اعادة بني أمية الى السلطة فاختاروا أحد من الذين كانوا لا يزالون من الأمراء في العاصمة و هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار و ذلك في السادس عشر من رمضان 414هـ / 1023م و قد اتخذ لقب المستظهر بالله و نظرا لسمعته الطيبة فقد علق عليه أهل الأندلس آمالا كبيرة لإعادة المجد الضائع ، الا أن الظروف لم تخدمه فعادت الاضطرابات و رفضت بعض المدن و الثغور تأييد بيعته ، و قد حكم 47 يوما فقط ثم خلفه ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الذي تلقب بالمستكفي بالله و أول ما بدأ به حكمه هو قتله لابن عمه المستظهر بالله ، و في عهده هدمت القصور الناصرية و خربت قصور المنصور بالزاهرة ، و لما سئم القرطبيون من حكم المستكفي أرغموه على الفرار ثم قتل بعد ذلك سنة 416هـ/1025م وبعدها سادت الفوضى في قرطبة لعدة شهور مما دفع بالقرطبيين الى مبايعة أمير أموي آخر و هو هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الذي تلقب بالمعتد بالله

ولكن هذا الأمير لم يستطيع القضاء على الفوضى و تحقيق الاستقرار بل ساءت الأمور أكثر و فقدت الخلافة هيبتها ، و عندما يئس القرطبيون من العثور على شخصية أموية قوية ، أجمع كبار أهل قرطبة بزعامة أبي حزم بن جهور و قرروا إلغاء الخلافة القرطبية و عزلوا اخر خليفة هشام المعتد بالله و أخرجوه من بلدهم وهكذا انقطع ذكرها الى الأبد في منابر الأندلس.

سي عبد القادر